



مؤسسة الخليج العربى

الرأي العام في الإسلام

كافة حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

مؤسسة الخليج العربى
١٩٥ شارع ٢٦ يوليو — العجوزة — القاهرة
تليفون : ٣٤٧٢١٨٣ — ٣٤٧٢٢٠٦

الرَّأْيُ الْعَامُّ فِي الْإِسْلَامِ

تأليف

مُحَمَّدُ عَبْدُ الرَّؤُوفِ بَهْهَسِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيَفْقَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَ يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ، هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ السَّكِينَةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ أَيْمَانِهِمْ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ، لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ يُكْفَرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

صدق الله العظيم

مقدمة

حمدا كثيرا لله الذى أولانا أجل النعم ، ومن علينا بأعظم المنن ، وشكرا جزيلا لمن تفضل بالآلاء ، التى لا يبلغها الانتهاء ، ولا يحيط بها العد ولا الاستقصاء ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسله الله بالحنيفية السمحة ، والشرعة النقية البيضاء ، التى جمعت خلاصة ما سبق من الأديان ، مع زيادة يقتضيها ارتقاء العقول وتطورات الحياة ، وتتطلبها الحضارات القويمة المتجددة إلى يوم القيامة ؛

فالدين الإسلامى لم يدع أصلا من أصول الفضائل إلا أقامه ووطّده ، ولا زكنا من أركان الصالحات إلا أسسه وشيّد به ، ولا قاعدة من قواعد النظام إلا قررها ، ولا ناحية من نواحي الحياة إلا أوضح أمرها ، ولا حالة من الحالات النفسية والعقلية ، والفردية والاجتماعية إلا أبان حكم الله فيها ، ولا سببا من أسباب الرقى إلا أظهره وحث على التمسك به ، ولا وجها من وجوه سعادة الدارين إلا أناره وحض على انتهاجه .

إلى غير ذلك من المزايا الكثيرة ، وكل مزية منها عنصر من عناصر السعادة الحقيقية ، مما جعل هذا الدين أحكم مرشد ، وأهدى قائد إلى المدنية المؤسسة على المعارف الصحيحة ، والأخلاق الفاضلة . وقد سعد بها المسلمون الأولون ، ورفعتهم إلى

غرف الحضارة السامية ، وأنزلتهم معاقل المنعة ، وأحلتهم محل الكرامة . وأجلستهم على عرش السعادة ، فسادوا العالم ، ورفعوا لواء العرفان ، ونشروا نور القرآن في كل مكان ، وصدق الله العظيم إذ يقول .

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

وإذ يقول :

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

فالنور . هو النبي ﷺ ، والكتاب الواضح : هو القرآن الكريم ؛ يرشد به الله من آمن به إلى وسأول الأمن والسلامة والاستقرار ، ويخرج من اتبعه من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم الموصل إلى رضا الله ونعيمه ؛ وهو دين الإسلام .

وبعد

فلما كان الإسلام على ما أوجزنا ؛ لم يترك في سبيل النهوض بالأمم شاردة ولا واردة ، صغيرة ولا كبيرة ؛ من المقاصد العظيمة ، والوسائل القويمة - دعانا هذا العموم الشامل لكل ما في

الحياة إلى البحث عن كلمة عامة حديثة العهد لم تذكر في القرآن الكريم ، ولا في الحديث الشريف ؛ هى كلمة « الرأى العام » إلا أن لها مدلولها العظيم فى الإسلام ، وينابيعها فيه فياضة ؛ فشرائع الإسلام مليئة به ، غنية بما يدل عليه دلالة واضحة ؛ فالإجماع ؛ أحد أدله الأحكام ، وله مكانته العظيمة فى الشريعة الإسلامية ما هو إلا الرأى العام لنوى الرأى فى الدين .

والعرف القويم ، وله اعتباره فى بعض المسائل الدينية ما هو إلا صدّى للرأى العام بل هو الرأى العام عينه ؛ إذ هو ما عرف بين الناس وانتشر فيهم ، حتى اعتادوه وألفوه .

وسياتى لنا أن الإسلام يربى الرأى العام ، وينشئه تنشئه صالحة ، ويوجهه توجيهها سديدا ، ويرعاه رعاية كريمة ، ويقويه تقوية عظيمة ، ويشجعه حتى يعظم أمره ويكون له أثره ، ويتخذة أداة قوية لتأييده وتقويم المنحرفين .

والثلاثة الذين تخلفوا بغير عذر عن غزوة تبوك (فى رجب سنة تسع) وهم كعب بن مالك بن أبى كعب السلمى ومُرة بن الربيع العمرى وهلال بن أمية الواقفى - كان لقوة الرأى العام فى مقاطعتهم خمسين يوما ضغط شديد . وأثر بعيد ؛ إذ هجرهم المسلمون جميعا ، حتى أقرب الناس إليهم ، وتنكرت لهم أنفسهم ، وضائق عليهم الدنيا على سعتها ، وتحققوا أن لا منقذ لهم من عذاب النفس وعذاب الآخرة إلا الله تعالى ؛ فلما صهرت

نفوسهم ، وتخلصت قلوبهم ، وطهرت سرائرهم تاب الله عليهم ،
ونزل قوله تعالى فى سورة التوبة آية (١١٧ - ١١٩) .

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

التوبة على النبى ﷺ معناها : استمرار عصمته وعدم تعلق ذنب به ، كقوله تعالى .

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَلَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ ﴾ .

فإن الغفران هنا معناها : العصمة من الذنوب كلها ؛ فلا يقع منه ما يوجب الاستغفار ، وكان استغفاره وتوبته ﷺ تعليما لأُمَّته ورفعاً لدرجته ؛ أو من باب حسنات الأبرار سيئات المتقين ؛ عاتبه الله على بعض ما حدث منه ؛ كإذنه للمتخلفين من المنافقين بالتخلف ؛ إذ يقول تعالى .

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾

ومعنى توبته تعالى على المهاجرين والأنصار من أجل ما وقع

فى قلوبهم من الوسوس والخواطر فى تلك الغزوة ؛ فقد بلغت الشدة غايتها ؛ حتى أن بعضهم أشرف على الميل إلى التخلف ، ولكن الله تاب عليهم : ثبتهم على الإيمان واتباع الرسول ﷺ ، وعدم التخلف عن الغزو معه .

ووصفهم الله تعالى بأنهم اتبعوا الرسول فى « ساعة العسرة » أى فى وقت العسرة : وهى الشدة والضيقة ، وكانت غزوة تبوك تسمى : غزوة العسرة ، وجيشها يسمى جيش العسرة ، لأنه كان عليهم عسرة فى المركب ، والزاد ، والماء ؛ فكان العسرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه ، وكان زادهم التمر المسوس ، والشعير المتغير ، وكان تمرهم يسيراً جداً ؛ حتى أن أحدهم إذا جَهِدَ الجوع يأخذ الثمرة فيلوكلها حتى يجد طعمها ، ثم يعطيها لصاحبه ، حتى تأتى على آخرهم ، ولا يبقى إلا النواة . وكانوا من شدة الحر والعطش يشربون الفرث ، ويجعلون ما بقى على كبدهم .

قال أبو بكر رضى الله عنه : يارسول الله ، إن الله قد عودك خيراً ، فادع الله ، قال : « أتحب ذلك ؟ » قال : نعم ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ، فلم يرجعا حتى غامت السماء ، فأظلت ثم سكبت ، فملئوا ما معهم من الأوعية ، ثم ذهبنا ننظرها فلم نجد لها جاوزت العسكر .

وذكر الله تعالى عقب الكلام على المتبعين والمتخلفين
خطابا عاما للمؤمنين جميعا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

أى اتخذوا الوقاية من غضب الله وعقابه بطاعته فى كل
ماتأتون وما تنرون ، وكونوا مع الصادقين فى دين
الله ، نية ، وقولا ، وعملا ، وفى الأيمان والعهود ، وفى كل شئون
الحياة .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستعين بالرأى العام
فى أحكامه على الولاة ؛ جاء فى البخارى عن جابر بن سمرة -
رضى الله عنه - أن أهل الكوفة شكوا عاملهم سعد بن أبى وقاص
الفتاح العظيم ، حتى ذكروا أنه لا يحسن صلى ، فأرسل إليه عمر
بن الخطاب ، فقال : ياأبا أسحق ، إن هؤلاء يزعمون أنك لاتحسن
تصلى ، فقال : أما والله فإننى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، لأخرم منها : أصلى صلاة العشاء ، فأركد
فى الأولتين وأخف فى الأخرتين ، قال : ذاك الظن بك ياأبا
اسحق ، فأرسل معه رجلا أو رجلا إلى الكوفة فلم يدع
مسجدا إلا سأل عنه ، ويشنون عليه ، حتى دخل مسجدا لبنى
عبس ، فقام رجل منهم يقال له : أسامة بن قتادة - يكنى أبا
سعدة ، فقال : أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لايسير بالسريّة ،
ولا يقسم بالسويّة ، ولا يعدل فى القضية ، قال سعد : أما والله

لَأَذْعُونَ بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا ، قام رياء وسمعة ،
فَأَطِلْ عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن . فكان بعد ذلك إذا سئل
يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتنى دعوة سعد . قال عبد الملك بن
عُمَيْر - الراوى عن جابر بن سَمْرَةَ - فَأَنَا رأيته بعدُ قد سقط
حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنه ليتعرض للجوارى فى الطريق
فيغمزهن . وشكى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رض. الله
عنه - عمار بن ياسر ، وهو من تعرف من السابقين الأولين إلى
الإسلام ، ولعلك تذكر ما لاقاه آل ياسر من التعذيب لما أسلموا .

وكان عمار أميرا على الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص ،
فاستقدمه أمير المؤمنين مع وفد يمثل أهل الرأى من الكوفة ، ثم
سأل الوفد عن مبعث ألمهم من عمار ، فقال بعضهم : إنه ليس ذا
كفاية ولا دراية ؛ وقال بعضهم : إنه لا يفقه معنى لما استعمل فيه من
الإمارة ، فاخبره عمر اختبار خبير بالكوفة وأهلها ، ولم يطمئن إلى
إجابته ، فعزله .

* * *

هذه نبذه فيها إشارة وجيزة إلى شمول الإسلام ، وإلى الرأى
العام فيه ، وقد أتبعناها بالتعريف بالرأى العام وموقفه فى الأمم الحرة
والأمم المستعبدة ، وإلقاء أنوار كاشفة للرأى العام عن التجار
والموظفين ومعاهد التعليم والعمال والمواصلات ، وبيان شعب

الرأى العام الإسلامى : الشعبية الخارجية والشعبة الداخلية ، وشعبة الشورى ، واستطلاع الرأى العام فى الأزمات العنيفة ، وتربية الرأى العام فى الإسلام وتنشئته ، وأثر معاهدة الحُدَيْبِيَّة فى الرأى العام داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وأثر الجزية فى الرأى العام ، ومراقبة الرأى العام للأفراد ، وثورة الرأى العام على المنكر وجهاده ضده ، وفى ثورة الرأى العام وجهاده المنكر نجاة المجتمع ، وفى تركهما هلاكه ، والرأى العام حق يجب اتباعه ، وعقاب الخارجين على إجماع الأمة ، والإشاعات الضارة وأثرها ، والمنافقون والإشاعات ، وعقاب مذبذبي الإشاعات الضارة فى الدنيا وفى الآخرة .

هذا ما أمكننى الكتابة فيه فيما يتعلق بالرأى العام وأرجو من ربى أن يغفر لى زلاتى ، وأن يجعل هذا المجهود خالصا لوجهه ، وهو خير مسئول أن يمنحه القبول .

المؤلف

معنى الرأى العام

هو رأى جمهور الأمة : أى أكثرها وأغلبها ؛ فإذا رأى معظم الأفراد رأياً واحداً فى حدث من الأحداث . أو مسأله من المسائل ، أو فى ناحية من نواحي الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية اعتبر ذلك رأى الأمة جمعاء فى هذا الموضوع .

أما الآراء الفردية المتفرقة فلا اعتداد بها ؛ إذ لا تمثل إلا أصحابها ولا تُعبّر إلا عن مصلحتهم أو وجهتهم الخاصة .

الرأى العام فى الأمم الحرة

الرأى العام ذو خطر عظيم ، وأثر بعيد فى حياة الأمم ؛ فالأمة الحرة المثقفة يكون رأيا صريحا نيراً ينير للحكام والزعماء والقادة والموظفين ، وسائر الأفراد والجماعات الطريق إلى رقى الأمة وتقدمها ؛ سياسة واقتصاداً واجتماعاً ، كما يلقى بضوئه على أعمالها ، فيجلبها للجميع ؛ ويقول للمحسن أحسنت ، ويشجعه على الدأب فى إحسانه ؛ حتى يعظم حاله ، وتثمر أعماله ، ويقتدى به أمثاله . ويقول للمسيء أسأت ، ويلهبه بسوطه اللاذع ؛ ولا يزال يتابعه حتى يحبى ضميره التوازع ؛ فيعدل عن إساءته ويصلح اعوجاجه ؛ فتستقيم قناته ، وتسمو غاياته .

هذا الوعي الجمهورى يلزم بكل فرد حده ، ويقفه عند قدره ؛ لأنه بالمرصاد لجميع الأفراد . وبهذا الرأى الصريح تسلك الأمة الطريق الصحيح ؛ فتنهض المشروعات العظيمة ، وتسود الأخلاق القويمة ؛ فلا غش ، ولا ارتشاء ، ولا تقصير ، ولا محاباة ، ولا ظلم ، ولا زيف فى الانتخاب ؛ لأن الرأى العام يقظ يفطن لكل صغيرة وكبيرة ؛ فسرعان ما يكشف الستار عن كل من يحاول ارتكاب شئ من هذه المقابح وما يشبهها مما يضر بالوطن والأمة .

فالرأى العام فى الأمم القوية — زيادة على كونه نبراسا ينير لها الظلام ، ويقودها دائما إلى الأمام — يقيم الوزارات ويُقَوِّمها ويسقطها ، ويشعل الثورات ويلهبها ويخمدنها .

الرأى العام فى الأمم المستعبدة

أما إذا كانت الأمة غير متمتعة بحريتها ذليلة خاضعة لغيرها ، مستعبدة لسواها — فإن رأيا العام يكون عليلا ؛ كبصيص ضئيل من النور ؛ لا يرشد إلى حق يتبع ، ولا يكشف باطلا يجتنب ؛ وعهدنا بالاحتلال الإنجليزى قريب ؛ إذ كانت جمهرة الصحف المصرية محشوة بما يوحى به المستعمرون ، مليئة بكل ما يثبت قدم الاستعمار ، وكلمة واحدة منها فى مصلحة الوطن كافية للاطاحة بها ، والتنكيل بقائلها ؛ وقد فصل من وزارة المعارف أخ لنا شرح بيتا فيه رائحة الوطنية .

ولا يزال في ذاكرتنا ما كان يقرره لنا بعض علمائنا الأفاضل من أن قراءة الصحف حرام يجب اجتنابها ، ولا يذكرون من الأسباب إلا أنها مضيعة للوقت ، وكنا ونحن صغار نسخر من هذا القرار ، وكانوا يخفون السبب الحقيقي لحرمة قراءتها ؛ ذلك السبب الذى أدركناه بأنفسنا حينما كنا نتردد على دار الكتب وقرأنا نماذج من هذه الصحف ؛ إذ ظهر لنا حيثئذ أنها لاتعبر إلا عن إرادة المستعمر ورغبته . أما رغبة الأمة فكان نصيبها الإهمال إلا من وُريقات كانت تصدر فى طى الخفاء الحين بعد الحين ؛ كأنها تنفس مكروب .

وبعد أن نلنا الاستقلال المزيف والمستعمرون فى عقر دارنا كان رأى العام مزيفا أيضا ، وكان للرجعية والرأسمالية والاستغلالية مع الاستعمار أثر بالغ فى زيفه ، حتى مجلس النواب حيثئذ كان لايمثل رأى الأمة الحقيقي ؛ لأن الانتهازين والرجعيين وأصحاب رأس المال هم الذين يحتلون مقاعد النيابة وهم خلفاء المستعمرين وعملاؤهم ؛ فمجلس النواب لم يكن مظهرا للرأى العام فى الأمة ، ولا ممثلا لأمانيتها وإرادتها ، وكان الأحرار منهم مكبوتين مغلوبين على أمرهم ؛ لندرتهم .

وإذا كان الرأى العام غير حر ولا مثقف ولا حذر فإن المجال يتسع لكل غاش ، ومرتش ، ومحاب ، وظالم ، ومفسد ؛ فنتحل الأخلاق وتستباح الحرمات ، وتتوارى المشروعات

والإصلاحات ، وتضعف الهمم ، ويقل الإنتاج ، وتنهقر الأمة ،
وتقع تحت سلطان غيرها . وذلك ما كنا فيه .

فالرأى العام فى الأمم الضعيفة لا يبالى به ، ولا يحسب له
حساب ، ولا يقام له وزن .

أما الآن فى عهد الاستقلال الحق ، والحرية المطلقة ،
والإرادة الطليقة الصادرة من أعماق الأمة — فكل إنسان يشعر
شعورا قويا بأن مجلس الأمة الحالى نابع من قراراتها ، مظهر
لإرادتها ، ممثل لرأيها ، وكذلك الحكومة من صميم الأمة ، ومن
سويدائها . وبهذا خطونا خطوات جريئة واسعة فى كل نواحي حياة
الأمة .

الرأى العام والتجار

الحكومة وحدها لاتقوى على القيام بواجبها فى جميع
نواحي الحياة إلا بمعاونة الشعب ، وليس فى مقلورها الإلزام بكل
صغيرة وكبيرة دون مساعدة الجمهور .

لذلك نرجو أن يسلط الرأى العام أضواءه الكاشفة على
هؤلاء التجار الجشعين الانتهازين ، الذين يعملون على تضيق
الخناق الاقتصادى حول عنق الأمة ، واشتداد الأزمات العنيفة فى
مطالبها الضرورية ؛ باحتكار السلع التى لا يمكن لأحد الاستغناء
عنها ، وانتهاز الفرص السيئة لرفع الأسعار ، وامتصاص الدماء

يشبعون بها بطونهم ، واختلاس الأموال يملفون بها خزائنها . وإنا
لنهيىب بالجمهور أن يكون عوناً للحكومة على كشف هؤلاء
الخونة ، وأخذهم بما يليق بجُرْمِهِمْ من عقاب رادع ؛ فإن الحكومة
وحدها لا يمكنها أن تضع مع كل تاجر حارساً يكفُّه عن إجرامه ،
ويحول بينه وبين شراسته ؛ فالعلاج الحق عند الجمهور الذى
يستطيع أن يرشد عن الأثيم ، ويقطع معاملته ، حتى يثوب إلى
رشده ، ويعود إلى صوابه .

الرأى العام والموظفون

إن دور الوزارات الحكومية ملبئة بالمرتشين ، والمتباطئين ،
والمقصرين ، والمهملين ، والعابئين بمصالح الأمة ، والمعرقلين
لأعمالها ؛ فلو كان الرأى العام متماسكاً يقظاً لوقف هؤلاء عند
حدهم ، ولألزهم أداء واجبهم على الوجه الأكمل ؛ بإظهار أمرهم
لرؤسائهم ، وكشف حقائقهم لمن يملكون ردهم ، ويحملونهم
على العمل الدائب المشر .

والأمل عظيم فى لجان تَقْصِي الحقائق التى ألفتها مجلس
الأمة من أعضائه ؛ إن هذه اللجان ستُظْهِرُ بِتَقْصِيها المُجْدَّ
والمُهِمْلَ ؛ حتى ينال كل ما يستحق من ثواب أو عقاب ، وسيكون
ذلك حافزاً للمجد على زيادة اجتهاده ، ورادعاً للمهمل عن
اهماله ، وستُظْهِرُ أن نصفهم زائد على الحاجة يمكن الإفادة منه فى

ناحية أخرى .

ولا يفوتنا هنا أن نطلب إلى لجان تقصى الحقائق — وهى جزء من صميم رأينا العام — أن تنظر إلى وضع كل موظف فى عمله ؛ حتى تتحقق أن كل واحد مُقام فيما أُعِدَّ له من اختصاصه ؛ فقد أُلْفنا أن كثيراً من الموظفين وضع فى غير ما أُهِّلَ له ، ويجب أن تختفى هذه الظاهرة فى عهدنا الحاضر ؛ حتى تستقيم الأمور ، وتنقن الأعمال ، وتسير مصالح الأمة فى مسارها الطبيعى .

الرأى العام فى معاهد التعليم :

يؤسفنى جد الأسف أن استنجد لجان التَّقْصَى طالبا إليها أن تُعْرَج على معاهد العلم على اختلاف مراحلها ؛ حتى تبين أن كل أستاذ أو مدرس يقوم بواجبه كاملا غير منقوص ؛ فإننا نسمع الكثير عن تخلفهم عن محاضراتهم أو دروسهم . والذى يعلم الناس الواجب يجب أن يكون خير نموذج فى أدائه على وجوهه المثلى .

يدعونا إلى هذا حرصنا الشديد على أن تكون معاهدنا سائرة على النظام والعمل المخلصين حتى تتم الفائدة ، وتحقيق الغاية .

ولايسعنا أن نترك هذا الموضوع دون أن نوجه كلمة إلى الطلبة والتلاميذ :

هى أن إقبالهم على محاضراتهم ودروسهم ، وحرصهم الشديد عليها يجذب إخلاص أساتذتهم وحرصهم على إفادتهم بكل ماأوتوا من علم وطاقة ؛ فالمشاعر متبادلة .

والطالب أو التلميذ الذى يعث بنظام الدرس ، ويعرقل سيره إذا شعر بسرور إخوانه من عبثه تمادى فيه ، وأضاع الفائدة على نفسه وعليهم ، واقتدى به غيره فكثير العاشون ، وأما إذا قاوموه ، وأشعروه بسخطهم على عبثه ، فإنه يكف عنه ، ويلزم النظام ، فيستفيد هو وإخوانه من الدرس الفائدة المرجوة .

الرأى العام والعمال :

العمال فى هذا العهد ارتفع شأنهم ؛ وعظم مكانهم ، وصار لهم اعتبار لم يكن لهم من قبل ؛ إذ نالوا حقوقهم كاملة : رفعت أجورهم ، وخفضت أوقات عملهم ، وساهموا فى إدارة الشركات والمصانع ، وشاركوا فى أرباحها . وعليهم بعد هذا أن يجلوا فى أعمالهم ، وأن يتقنوها ، وأن يخلصوا فيها ؛ حتى يكثر الإنتاج ، وتحقق للوطن الفائدة ، وعليهم مع ذلك أن يحسنوا معاملة الناس ، ويؤطّلوا العلاقة الأخوية بينهم وبين جمهور معاملتهم ؛ ليعم الأمن والطمأنينة ، ويسود السلام .

الرأى العام والمواصلات :

إن مشكلة المواصلات مشكلة المشكلات ؛ حلها ليس سهلا ، بل عسيرا جدا ، وكل ما قدم لها من حلول منه مالم يثمر ، ومنه ما أثمر ثمرة ضئيلة ، ولم يأت بالثمرة المرجوة : كتقصير خطوط بعض السيارات واختلاف مواعيد بدء العمل فى المصالح والوزارات .

وفى الرأى العام أن حلها بالإكثار من عدد الخطوط والسيارات ، وهذا أمر لا يمكن بين عشية وضحاها ؛ لأن المسألة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمال والطاقة المالية ، ولكن ما لا يُحتمل التأجيل أن يَبْدَأ التنفيذ حالا بدءا يشعر به الجمهور ، ويتضح له أثره الفعلى .

والواقع أن هذه المشكلة فيها تهديد للأرواح ، وتعريض للمخاطر ، واضطراب للأمن ، وتعطيل للأعمال ، واختلال للنظام ، فهى من المسائل الحيوية المعقدة التى يجب بذل أقصى مجهود لحلها وإصلاحها .



الرأى العام فى الإسلام

أساس الرأى العام :

الإسلام دين عالمى : للناس كافة ؛ لا يخص شعبا دون شعب ، ولا قطرا دون غيره ، لذلك وَضَعَ للرأى العام أساسا عاما يناسب عمومه ؛ ففرض على المسلمين فى جميع بقاع الدنيا إقامة قاعدة قيادية عامة ذات شعبتين عظيمتين من أهل العلم بهذا المهم الأعظم :

١ - الشعبة الأولى عالمية تعمل على تكوين رأى عالمى مستضىء بنور الإيمان فتشرح مقاصد الإسلام للأمم غير الإسلامية ، وتدعوهم إلى السير على هداة ؛ لتكوين رأى عام مؤمن مستتير بالإيمان ؛ تسوده القيم الروحية ، والأخلاق الفاضلة .

٢ - الشعبة الأخرى تعمل داخل المجتمع الإسلامى ؛ تهيب بالمنحرفين من المسلمين إلى التزام حلود دينهم بالعودة إلى الاستقامة بفعل المعروف : وهو كل ما أمرت به الشريعة ، وترك المنكر : وهو كل ما نهت عنه ،

والقصد من هذه الشعبة تكوين رأى عام داخلى سليم من كل الشوائب .

تقرأ هذا كله فى قوله تعالى فى سورة آل عمران (١٠٤) :
﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

والأمة فى الآية : الجماعة . فالجماعة الأولى التى : تدعو إلى
الخير : أى الإسلام ، ودعوتها خارجية . والجماعة الأخرى : التى
تدعو إلى فعل المعروف وترك المنكر ، ودعوتها داخلية .

شعبة ثالثة : الشورى :

يضاف إلى شعبتى الأساس السابقتين : الخارجية والداخلية
شعبة ثالثة متممة لهما ، ولا تقل أهمية عنهما : هى شعبة الشورى
وهى ذات مظهرين : خارجى ؛ يتمثل فى المؤتمرات والاتفاقات
الدولية ، وداخلى يتجلى فى المشروعات والقوانين الداخلية .

وللشورى فى رأى العام أثر بالغ وأهمية عظيمة ، ولها
مزاياها وخصائصها ورجالها ، ومركزها القيادى لا يمكن إغفاله فى
أمة تبغى الحياة الناهضة ، ولا مبالغة فى هذا : فإن الشورى أسمى
مظهر للرأى العام ، وأعظم باعث على إنشاء المجالس النيابية ،
والوحدات الاشتراكية ، وهما الصورة الجلية للرأى العام ، ومَصْنَعُ
آراء الرجال ، وَمَحْكُ أَفْكَارِهِمْ ، وَمَجْلَى تَأْزِيرِهِمْ .
كما أنهما مدرسة جامعة لتقوية ملكة التفكير السليم ،
احترام المرء نفسه ، وآراء غيره ، وخضوعه للحق . وهى بهذا

كله منبع السداد والرشاد ، ومعين قوام المعاش والمعاد ، ومدعاة إصلاح الأمم والبلاد .

قال الله تعالى فى سورة آل عمران من آية (١٥٩) مخاطبا نبيه محمد ﷺ :

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

أى استخرج آراءهم ، واستطلعها فى شئونك الهامة ، فإذا صممت على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ، فأقدم عليه مُعْتَمِداً على الله وثاقا به وبنصره ، لا على المشاورة ، فإن الله جلت قدرته يحب المعتمدين عليه الواصلين به ؛ يعينهم وينصرهم فى كل أمورهم من حرب أو سلم أو إصلاح ، أو غير ذلك .

وفى مشاورة النبي ﷺ لأصحابه قبل بدء معركة بدر وفى شأن أسراها ، وفى غير ذلك من الأمور الهامة - تطبيق للأمر الإلهى ، وتقرير لحرية الرأى ، وغرس لفضيلة المشاورة فى نفوس المسلمين ، وقال ﷺ :

« مَا شَقِيَ قَطُّ عَبْدٌ بِمَشُورَةٍ ، وَمَا سَعَدَ بِاسْتِغْنَاءٍ رَأْيٍ »

وقال الحسن البصرى : « ما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم ؛ وإنما أراد أن يعلمهم ما فى المشاورة من الفضل ،

ولتقتدى به أمته من بعده »

وقد مدح الله الأنصار بالعمل بهذا المظهر الرائع . والتوسل إلى اجتلاء أقوم الآراء بهذه الوسيلة النبيلة ؛ فقد كانوا إذا حز بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا ، قال تعالى :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب :

« إِذَا رَأَيْتُمْ فِىْ اَعْوِجَاجٍ فَقَوِّمُونِى »

فقال له :

« إِذَا رَأَيْتَا فِىْكَ اَعْوِجَاجًا قَوِّمْنَاهُ بِالسَّيْفِ »

فقال :

« اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى جَعَلَ فِى الْاُُمَّةِ مَنْ يُقَوِّمُ اَعْوِجَاجَ عُمَرَ بِالسَّيْفِ » .

وقد جعل رضى الله عنه الخلافة - وهى أعظم المناصب - شورى بين أهل الرأى من المسلمين .

قال البخارى رحمه الله : « وكانت الأئمة بعد النبى ﷺ يستشيرون الأئمة من أهل العلم فى الأمور المباحة ؛ ليأخذوا بأسهلها »

وكان أمراء المؤمنين وأئمتهم يتقبلون من أهل الرأى نصائحهم شاكرين ، ويشجعونهم على إبدائها ؛ والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، يحضرني منها الآن ما كتبه أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما إلى عمر بن الخطاب لما ولى إمارة المؤمنين ، قالوا :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من أبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب :

« سلام الله عليك ، فإننا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإننا عهدناك وأمر نفسك لك مهم ، وإنك يا عمر أصبحت وقد وليت أمر أمة محمد ؛ أحمرها وأسودها ؛ يجلس بين يديك الصديق والعدو ، والشريف والوضيع ، والشديد والضعيف ، ولكل حصته من العدل ؛ فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ، وإننا نذكرك يوماً تُبلى فيه السرائر ، وتُكشَفُ فيه العورات ، وتظهر فيه المُخَبَّات ، وتعنو فيه الوجوه لملك قاهر ؛ قَهَرُهُمْ بِجَبْرُوتِهِ ، والناس له داخرون ، ينتظرون قضاءه ، ويخافون عقابه ، ويرجون رحمته .

وإنه بلغنا أنه يكون فى هذه الأمة رجال يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة .

وإننا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا من قلبك سوى المنزل الذى

نزل من قلوبنا ؛ فإنما كتبنا إليك نصيحة لك . والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليهما عمر متقبلاً نصيحتهما بأحسن قبول ، مقلداً
مبلغ صدقهما ، وشرف قصدهما ، ومُستزيداً من نصائحهما ،
ومُصّرّحاً بحاجته إليهما ، قال في آخر كتابه :
(وكتبتما تُعوذاني بالله أن أنزل كتابكما مني سوى المنزل
الذي نزل من قلوبكما وإنما كتبتما نصيحة لي ، وقد صدقتما ،
فتعهداني منكما بكتاب ، ولاغنى بي عنكما)

١ - فانظر كيف صarach أبو عبيدة ومعاذ بن جبل عمر بن
الخطاب ، وواجهاه بأن المعهود فيه أنه شخص يعنى بنفسه ،
ويهمه أمرها .

٢ - وصورا له عظم التبعة الملقاة على عاتقه بإسناد الإمارة
إليه ، ثم حذراه العاقبة وحساب الآخرة يوم يقف الناس أمام أحكم
الحاكمين .

٣ - وأخبراه أنه سيكون في هذه الأمة من يتظاهر بما ليس
فيه ، فليحذر هؤلاء المنافقين .

٤ - وأنهما لا يقصدان بكتابهما غير النصيحة ويتحصنان
بالله أن يفهم من كتابهما ضد ذلك .

٥ - ثم انظر كيف قَدَّرَ عمرُ بنُ الخطابِ إخلاصهما ورجا
منهما أن يتابعا له نصائحهما ، وأنه لا يستغنى قط عنهما ، ولا عن
إرشادهما .

استطلاع الرأى العام فى الأزماة العنيفة

لاشك أن المجلس النيابى صورة جليلة لرأى الأمة ؛ فرغبته
رغبتها ، ووسيلته وسيلتها ، وغايتها غايتها ، فلا غرابة أن يسمى
مجلس الأمة .

والحكومة وليدة مجلس الأمة فهما متحدان رغبة ووسيلة
وغاية . ومقصد الجميع واحد ، وذلك كله لا يتنافى بل يثبت أن
الأمة مصدر السلطات ، ورغبتها أساس الرغبات ، ويجب الرجوع
إليهما عند اشتداد الأزماة .

وقد يحدث أن المجلس والحكومة يختلفان على شأن هام
من شئون الدولة الخارجية أو الداخلية ، كالاختلاف على قروض
خارجية أو داخلية ، أو أى اتفاق خارجى ، أو الاختلاف على
اشتباك مسلح مع دولة أخرى ، أو الاختلاف على أحد المشروعات
الداخلية ، أو القوانين الوطنية ولم يمكن تسوية الأمر بين الحكومة
والمجلس ، فتضطر الحكومة إلى استطلاع رأى الأمة ، فتَحُلُّ
المجلس ، لانتخاب مجلس آخر يمثل الرأى العام فى المشكلة

الحاضرة .

وفى معركة الانتخاب يتقدم كل مرشح برأيه فى هذه المشكلة
فتنتخبه أو لا تنتخبه بناء على رأيه وبذلك يتألف المجلس الجديد
بصورة توضح رأى الأمة الحقيقى فى موضوع الخلاف . ومن
مظاهر رأى الأمة الصحافة ، فإنها مرآة مَجْلُوءة يتجلى فيها رأى
المثقفين ، فى القرى والمدن والمحافظات وهى مظهر رائع لرأى
الأمة الحقيقى .

فالصحافة ومجلس الأمة والاجتماعات الانتخابية ،
والندوات الإذاعية والتلفزيونية ، والجماعات فى الصلوات ،
وخطب الجمع والأعياد - هذه كلها ميادين واسعة تتلاقى فيها
الأفكار ، وتترك الآراء ، وتختلف وجهات الأنظار .

ومن جميع هذه وما يحدث فيها من تقلب الأمور على
وجوهها المختلفة ، وصورها المتعددة ، ومن خلال مناقشاتها
القوية ، ومعاركها الفكرية - يتجلى الرأى العام الناصع ، والاتجاه
القومى السليم فى المشكلة القائمة .

ولكن قد يوجد فى خلال الجماهير من يستغلون سُمُوَ
مكانتهم ، أو عِظَمَ بلاغتهم ، وتدفعهم الأثرة وحب الظهور إلى

زخرفة الباطل وتمويه الرأي الخاطِل ، وخداع الناس ، والتليس عليهم ، فيغترون بهم ، ويسرون وراءهم ، ويعتقون آراءهم ، ويَكُونون بذلك كثرة موضعية مُزيفة ، وحيث يرى أصحاب الآراء القويمة في هذه الناحية أو في هذا الميدان أنهم صاروا قلة في كثرة ، فيضطرون إلى متابعة الكثرة على خطيها ، مجارة أو مدارة ، رغبة أو رهبة ، ولايجلون عندهم من الشجاعة ما يحفزهم إلى مجابهة الكثرة الموضعية بالحقائق .

لذلك حذر الرسول الأعظم ﷺ هؤلاء الذين يلبسون الحق بالباطل ، ويقلبون الحقائق للاستيلاء على عقول العامة ، والتوسل بذلك التضليل إلى نيل عرض الدنيا الزائل ومتاعها القليل ، وأوعدهم بشديد العقاب على هذا الوزر الشنيع ، وأن عليهم مثل أوزار من أوقعوهم في حبال ضلالهم ، وأوزار من تبعوهم إلى يوم القيامة ؛ ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً » .

كذلك حذر الرسول ﷺ ذا الرأي السديد متابعة مثل هذه الكثرة المزيفة المنحرفة عن الحق ، وبين أنه لا يليق بكرامته ولا

رجولته أن ينحرف معها ، بل يجب عليه أن يعض على الحق بالنواجذ ، وأن يجهر به ، ولا يبالي ما أصابه فى سبيله ، أما المجارة أو المداراة باتباع الكثرة الضالة فانتصار للباطل ، وامتهان للكرامة ، وإعدام للرجولة ، وهُتِر للعقل ، والإسلامُ يقدر الكرامة ، ويصون الرجولة ، ويدعو إلى حرية الفكر واستقلال الرأى ، ففى الحديث الذى أخرجه الترمذى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ :

« لَا تَكُونُوا إِمَّةً : تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَاءًا ، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ - إِنْ أَحْسَنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا - أَلَّا تَظْلِمُوا » .

الإمعة : الذى يقول : أنا مع الناس ، إن أحسنوا أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، فهو لا رأى له ، ولا يثبت على حال ، ولا يستقر على قرار ، ويمثله تهتير العقول ، وتنصر الأباطيل ، وينتقص العلم ، وتقف المشروعات ، ولا تظهر المخترعات ، وتتقهقر الأمم ، والرجل القوى الإيمان لا يقبل أن يكون إمعة ، بل إيمانه القوى وشجاعته القوية النابعة من ذلك الإيمان يلزمه بإعمال فكره ، وتوطئن نفسه أى إعدادها وتمهيدها وتذليلها للتمسك بالحق ، والتزام مصلحة الدين والوطن .

تنشئة الرأى العام فى الإسلام داخل الجزيرة العربية

وللإسلام فى تنشئة الرأى العام مواقف حميدة ، وتوجيهات
مجيدة ونظرات بعيدة وآراء رشيدة .

أثر معاهدة الحديبية داخل الجزيرة العربية.

من هذه المواقف معاهدة الحديبية التى عقدت بين النبى
ﷺ وقريش فى السنة السادسة من الهجرة فإن المتأمل فى نتيجتها
لا يدخله أدنى ريب فى أنه ﷺ كان أوسع القوم فكرا ، وأبعدهم
نظرا ، وأسدهم رأيا ، وأسماهم سياسة وكياسة ، إذ لم يعرف
التاريخ معاهدة أثمرت أطيب الثمرات - على خلاف ما كان يبدو
منها - مثل معاهدة الحديبية ، فقد كانت من أعظم الوسائل إلى
إظهار دين الله ، وتطبيقه الجزيرة العربية .

وذلك أن النبى ﷺ أراد زيارة البيت الحرام ، فخرج مع
ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار ، فلما وصل إلى
الحديبية (موضع بقرب مكة) أبت قريش أن يدخل مكة على غير
إرادتهم ، وأبى ﷺ إلا أن يزور على رغم كل مقاومة ، فنفاوض
الفريقان ، وانتهت المفاوضة بعقد معاهدة على النحو الآتى :

١ - وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنوات .

٢ - من جاء المسلمين من قريش يردونه إليهم ، ومن جاء

قريشا من المسلمين لا يلزمون ردّه .

٣ - يرجع النبي ﷺ من غير زيارة هذا العام ، ثم يأتى العام المقبل ، فيدخل مكة بأصحابه بعد أن تخليها له قريش ثلاثة أيام ، فيقيم بها هذه المدة ، ليس مع أصحابه من السلاح غير القوس والسيف فى القراب .

٤ - من أ. اد أن يدخل فى عهد محمد من غير قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه

فاعترى المسلمين من هذه المعاهدة همّ عظيم ، ودخلهم كرب شديد لأنهم رأوا فيها إجحافا بحقوقهم ، وغضا من شأنهم ، وقالوا : كيف نرد إليهم من جاءنا مسلما ، ولا يردون إلينا من جاءهم مرتدّا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :
« إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهِمْ فَسَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ قَرْجًا وَمَخْرَجًا » .

وكان حزن المسلمين لصدهم عن الطواف بليغا ، وثارَت
ثائرة عمر بن الخطاب على المعاهدة ، واحتج عليها احتجاجا
شديدا ، وتكلم كلاما عنيفا ؛ غيرة على الإسلام والمسلمين ،
ولكن الأيام أثبتت بُعد نظره عليه الصلاة والسلام ؛ إذ كانت هذه
المعاهدة أساسا متينا ، وركنا ركينا لرأى عام قوى يؤيد الإسلام ،
ويدعو إليه :

وذلك أنه بعد عقد المعاهدة اختلط المسلمون بقرابتهم وصحابتهم من أهل مكة ، وأخذوا يقصون عليهم من أحوال النبي ﷺ ، ومعجزاته ، وحسن سيرته ، وجميل طريقته ، وسمو عقيدته ، ويوضحون لهم مقاصد الإسلام الباهرة ، ووسائله الطاهرة ، وشرائعه الظاهرة ، واتجاهاته النيرة ، فخالطت بشاشته قلوبهم ، وقذف الله نوره فيها ، فبادر كثير منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة ، وازداد الآخرون ميلا إليه فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم ؛ لما استقر في نفوسهم من الميل السابق ، ثم دخل الناس فيه أفواجا .

وإن معاهدة تثمر هذه الثمرات ، وتفيد هذه الفوائد - لأوضح برهان على ما للنبي ﷺ في السياسة من عظيم الشأن ، وماله من نظر يخترق حجب الأيام ، ويمتد على أفق الأعوام ، وذلك كله بعون الله وتوفيقه .

قال سيدنا أبو بكر - رضي الله عنه -

« مَا كَانَ فَتْحُ فِي الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِنْ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَلَكِنَّ النَّاسَ قَصَرَ رَأْيُهُمْ عَمَّا كَانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَرَبِّهِ ، وَ الْعِبَادُ يَعْجَلُونَ ، وَاللَّهُ لَا يَعْجَلُ لِعِجَالَةِ الْعِبَادِ ، حَتَّى تَبْلُغَ الْأُمُورُ مَا أَرَادَ » .

يصدق ما ذهب إليه سيدنا أبو بكر نزول سورة الفتح على النبي ﷺ في رجوعه من الحديبية ، وفي أولها يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ .

ولاشك في أن معاهدة الحديبية كانت فتحاً ظاهراً واضحاً ، كانت سبباً في إيضاح الحق بقوة الرأي العام . الذي كانت المعاهدة أساسه القوى ، ويكفي في الدلالة على رفعة شأنها ، وبعد أثرها أن الله تعالى سماها فتحاً مبيناً ، وأعقبها نصراً عزيزاً .

قال الزهري - رحمه الله تعالى - : « لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتح ؛ وذلك أن النبي ﷺ جاء إليها في ألف وأربعمائة ، فلما وقع الصلح مشى بعضهم إلى بعض ، وعلموا وسمعوا من الله ، فما أراد أحداً الإسلام إلا تمكن منه ، فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة في عشرة آلاف ،

أثر معاهدة الحديبية خارج الجزيرة العربية :

كان لمعاهدة الحديبية أثر آخر لا يقل أهمية في دعم الرأي العام عن الأثر الأول ، ذلك أن النبي ﷺ لما أمن بهذه المعاهدة جانب قريش شرع يعمل عملاً عظيماً تمتد به آفاق الرأي العام الذي كان وليد المعاهدة ؛ إذ أخذ يوسع أفق الدعوة ، ويتجاوز بها جزيرة العرب ، فكتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام : كتب إلى قيصر ، وكسرى ، والنجاشي ، وأمراء بصرى ودمشق ومصر .

ولا بد أن هذه الكتب تسربت أخبارها إلى شعوب هؤلاء الملوك والأمراء ، فكان للرأى العام الذى أحدثته ذوى فى هذه الشعوب ، وقد بلغ الرأى العام مبلغاً مُرَوَّعاً لها يسبق الغزوات والحروب ، ويعمل عمله فى النصر الإسلامى المؤزر ، ولعل هذا الرأى العام المدبّر هو أساس الرعب الذى أخبر عنه الرسول ﷺ فى الحديث المتفق عليه عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال :

« أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً » .

أثر الجزية فى الرأى العام الإسلامى

ومما له أثر فى تكوين رأى عام يؤيد الإسلام كأثر معاهدة الحديبية - الجزية التى تفرض على أهل الكتاب المحاربين والتى ذكرها الله تعالى فى سورة التوبة : آية (٢٩) :

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ .

الجزية : مايفرضه أمير المؤمنين من المال على الأحرار من الذكور البالغين الموسرين من أهل الكتاب المحاربين إنهاء للحرب ، يعطونها عن يد وهم صاغرون : يسلمونها إلى ولى الأمر أو إلى من ينيبه يداً بيد منقادين أذلاء . وليس قصد الإسلام من أخذ هذه الجزية على هذه الصورة مجرد المال أو الإذلال ، بل قصده إنهاء حالة الحرب ، وإيجاد حالة هدوء واستقرار ، تطمئن فيها النفوس ، وتهلأ الخواطر ، ويختلط فيها المسلمون بأهل الكتاب بالمجاورة والمعاشرة والمصادقة .

وفى هدوء هذا السلم يمكن للكتابين أن يقفوا على شرائع الإسلام السامية ، ومقاصده الراقية ، ووسائله الشريفة ، ونواحيه القويمة . وصفاته الكريمة ، وأن يعرفوا مافيه من عدالة ومساواة ، ومواساة وأخوة ، وتعاطف ، وتراحم ، وما إلى ذلك من كل ماجاء به الإسلام ، ومن جمعه مزايا الأديان السماوية التى سبقته ، وزيادة ما يقتضيه تطور الحضارات السليمة القويمة المتجددة إلى يوم القيامة

يدفعهم كل ذلك إلى التفكير فى الموازنة بين الإسلام الذى جمع فى كتابه وأحاديث رسوله بين كل الأديان السماوية ، وأقر بجميع الرسل التى جاءت بها ، وبين ما هم عليه من تغيير وتبديل ، وذلة ومهانة ، فيسودهم بذلك رأى عام قوى نفسى يدفعهم دفعاً قوياً إلى التخلص من ذل الجزية إلى عز الحرية ، ومن غل التقليد الأعمى إلى انطلاق الفهم السليم والعلم الصحيح .

فما أشبه أثر الجزية العظيم بأثر معاهدة الحديدية : الفتح
المبين .

مراقبة الرأى العام الإسلامى للأفراد دائمة بدقة ورقة

يجب على المؤمن لأخيه المؤمن الصفاء الذى لا تشوبه
شائبة ، والإخلاص الذى لا حد له ، والمراقبة التامة ؛ لكنها ليست
مراقبة تجسس وبحث عن العيوب لنشرها ، بل مراقبة أخوة
ومحبة ، وعطف وشفقة ؛ ليرشده إذا ضل ، ويُنْهَضَه إذا زل ،
وينشطه إذا مل ، ويعينه على معاشه ومعاده ، ويدفع عنه كل ما
يشينه ، ويُجنبه كل ما يؤذيه فى حضرته وغيبته ، ويعد عنه كل
ما يذنبه من القذارة الظاهرة والباطنة ، الحسية والمعنوية ؛ يشير
إلى ذلك كله قول الرسول الأعظم ، ﷺ :

« إِنْ أَحَدَكُم مِرْءَاةُ أَخِيهِ ، فَإِنْ رَأَى بِهِ أذى فَلْيَمِطْهُ عَنْهُ » .

وقوله :

« الْمُؤْمِنُ مِرْءَاةُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ ، يَكْفُ
عَلَيْهِ ضَيْعَتُهُ ، وَيَحْوَطُهُ مِنْ وَرَائِهِ » .

يميطه عنه : ينحيه ويبعده .

يكف عليه ضيعته : يعاونه فيها . وضيعه المرء : ما به
معاشه من صناعة أو تجارة أو زراعة أو غيرها

يحوطه من ورائه : يصونه ويدفع عنه كل ما يؤذيه فى غيبته .

فالمراءة المجلوة لا تحجب عن صاحبها شيئاً فى وجهه دون أن تظهره له واضحاً ؛ يشينه أو يزينه ، يرضيه أو يسخطه ؛ كذلك المؤمن مع أخيه المؤمن ؛ ينبغي أن يبدى له صورة نفسه ، وحقيقة حاله ؛ بما هو عليه من محاسن يشجعه على الثبات عليها ، والزيادة من أمثاله ، ومساوى يدعو به إلى الإقلاع عنها ، والبعد عن مثيلاتها ، مع مساندته فى كلنا الحالتين .

ويجب عند ذكر المحاسن والمساوى الوقوف عند الحقائق مجردة من المبالغة والتهويل ، فى موعظة حسنة رقيقة لينة ؛ فذلك أدعى إلى الامتثال ، وإصلاح الحال .

ولم يقف حديث الرسول ﷺ عند حد تمثيل المؤمن بالمرءة ، بل سما به إلى المزية العظمى : مزية الإنسانية ، وفضيلة البشرية ؛ وهى التعاون على تحصيل الخير من جميع وجوه المشروعة ، وألوانه المتعددة ، فى معاش الإنسان ومعاده ، والتعاون على دفع الأذى ؛ بطرحه عن أخيه فى غيبته ، أو مساعدته على إزالته ، ولو بإرشاده إلى وسيلة إبعاده ، أو بالنصح له بالتخلى عنه ، فقد روى ابن النجار عن جابر - رضى الله عنه - أن الرسول ﷺ قال :

« الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لَا يَدْعُ نَصِيحَتَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ »

ولو اتبعنا هذه السنة العظيمة ما كان فينا تاجر غاش ،
ولا صانع مُدلسٌ ، ، ولا موظف مرتش ، ولا وطنى منحرف
ولا خائن ، ولا نتفث من بيننا الرذائل ، وسادت الفضائل ، وكنا من
﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ ﴾ .

ثورة الرأى العام على المنكر وجهاده فى إزالته

الرأى العام الإسلامى مجمع على وجوب الثورة على المنكر
ومحاربته ، ومحوه بكل ما يمكن من طاقة ؛ لأن المنكر وباء إذا
غفل عنه استشرى فى الأمة ، واستعصى علاجه ؛ لهذا كان
الإجماع على وجوب تغييره بمجرد ظهوره .

ولا تعجز أية طاقة مهما ضعفت عن المشاطرة بصورة من
الصور التى وردت فى الحديث الشريف الذى أخرجه الأئمة عن أبى
سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول :

« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ يَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ . وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » .

وفى الحديث الذى أخرجه مسلم عن عبد الله بن
مسعود - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ :

« مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ »

وَأَصْحَابُ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيَقْتُلُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ يَبِيدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ تَحْرَدِلُ .

وظاهر من هذين الحديثين أن جهاد المنكر واجب على الجميع كل واحد على قدر ما يستطيع ، باليد أو اللسان أو القلب . وبدهى أن التغيير بالقلب يصاحب التغيير باليد أو اللسان ؛ فالتغيير بالقلب فرض عين على الجميع . وزيادة اليد أو اللسان عليه فرض على القادرين عليها عند تحقق الفائدة أو غلبة الظن بها ، وإذا لم يغلب الظن بالفائدة كان مندوبا فقط عليهم باعتبارهم أفرادا ، ووجب عليهم حيثئذ الاستعانة بولى الأمر ، فإن له تمام القدرة على المنع بالقوة من جميع ألوانها .

فى الثورة على المنكر وجهاده نجاة المجتمع وفى تركهما هلاكه

قال الله تعالى فى سورة الأنفال (٢٥) :
﴿ وَأَقْبُوا فِتْنَةً لِّاتَّصِيْنَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ
الله شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

يوجب الله تعالى فى هذه الآية الكريمة على المؤمنين أن

يأخذوا على أيدي الظالمين ، ويحولوا بينهم وبين الاستمرار في ظلمهم . وإن القيام بهذا الواجب هو الوقاية المنيعة التي تنجيهم من المحن والبلايا والشدائد والمصائب التي ينزلها الله بالظالمين ، وإلا يقوموا بهذا الواجب عنهم العذاب .

فالناس إذا ظهر بينهم المنكر تحتم على كل من رآه أو سمع عنه أن يغيره ؛ فإذا سكتوا عليه .

فكلهم عاصون ، هذا بفعله ، وهذا برضاه . وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضى بمنزلة العامل ؛ فتتظمهما العقوبة

قال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى تَكُونَ الْعَامَّةُ تُسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَى الْخَاصَّةِ فَإِذَا لَمْ تُغَيِّرِ الْعَامَّةُ عَلَى الْخَاصَّةِ عَذَّبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ »

الإمام أحمد عن عدى بن عميره

والرسول ﷺ يقول :

« مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُلُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا عَلَى إِسْفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا ، وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا . فَإِنْ تَرَكُوا وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ؛ وَإِنْ أَخْلَوْا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا

وَنَجَّوْا جَمِيعاً .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال :
« إِذَا خَفِيتِ الْخَطِيئَةُ لَا تَضُرِّي إِلَّا صَاحِبَهَا ، وَإِذَا ظَهَرَتْ فَلَمْ تُغَيِّرْ ضَرَّتِ الْعَامَّةُ . »

ففى هذه الأحاديث هلاك العامة بذنوب الخاصة .
واستحقاق عقوبة المنكر بترك الثورة عليه وعدم جهاده
ومن كرامة المؤمن أن يكون شجاعاً فى الدفاع عن الحق
مهما تكن قوة المخالفين ومكانتهم .

(١) قال الله تعالى فى سورة الأحزاب من آية (٥٣) :
﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾

(ب) وقال الرسول ﷺ مما رواه أبو سعيد الخدرى
رضى الله عنه :

« لَا يَخْجِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ ، أَنْ يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيهِ
مَقَالٌ ، فَلَا يَقُولُ فِيهِ ، فَيَلْقَى اللَّهَ وَقَدْ أَضَاعَ ذَلِكَ فَيَقُولُ اللَّهُ : مَا
مَنْعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : يَارَبِّ خَشْيَةُ النَّاسِ ، فَيَقُولُ : فَيَأْبَى
سَمَنْتُ أَحَقَّ أَنْ تُخْشَى »

(ج) وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أيضاً قول
النبي ﷺ فى حديث طويل :

« لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ ، أَلَا

إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ .

(د) وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ
حَذَلَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ » .

ظاهرين على الحق : حافظين له ، متمسكين به ، ومدافعين
عنه ، وداعين إليه



الرأى العام حق يجب اتباعه

إن نظرة إلى ماسبق تبين أن الرأى العام أمر ثبت صوابه ، فوجب على الأمة إظهاره ، والأخذ به ، والجرى على سنته .

وهذا الرأى العام الذى أوضحناه هو المسمى فى اصطلاح علماء أصول الفقه بالإجماع وهو كما ذكرنا : اتفاق أهل الحل والعقد على أمر من الأمور الشرعية أو العقلية أو العرفية .

والمراد بالاتفاق : الاشتراك فى القول أو الفعل أو الاعتقاد .
وأهل الحل والعقد : هم العلماء المجتهدون فى أى علم أو فى أى فن ، أو فى أى فرع من فروعهما ؛ فهم فى الأمور الشرعية : علماء الشريعة ، وفى الأمور الهندسية : المهندسون ، وفى الأمور الصناعية : علماء الصناعة ، وفى التجارية : التجاريون ، وفى الزراعية : الزراعيون ، وفى القانونية : القانونيون ، وفى الحرية : الحريون ، وما إلى ذلك مما لاتعيه الذاكرة .

فأصحاب الرأى وقادته فى كل ناحية من نواحي حياة الأمة هم أهل الخبرة المجتهدون فيها ، لأنهم بخيرتهم واجتهادهم فى ناحية تخصصهم أعلم من سواهم بالصالح للأمة ، فإذا نبع منهم الرأى ، وكانوا قاداته صار من المحقق - مع الإخلاص وحسن النية - الوصول إلى رأى عام قومى سليم يجب اتباعه ، والسير على ضوئه ، وبذلك تضمن للأمة الطريق السليم ، المؤدى إلى النتيجة

المطلوبة ، والثمرة المرغوبة .

١ - ومما يدل على أن الرأي العام الذى هذه ملامحه حق يجب اتباعه مارواه صاحب الذخيرة من قول الرسول ﷺ :
« لَأَتَجَمَّعُ أُمَّتِي عَلَى خَطَا » .

فإجماعها على أمر يدل على أنه صواب وحق يجب امتثاله ،
والنسج على منواله .

٢ - ومارواه الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
من قول الرسول ﷺ :
« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ ، وَيُدُّ اللَّهُ عَلَى
الْجَمَاعَةِ . مَنْ شَدَّ شَدَّ فِي النَّارِ » .

٣ - وما رواه أبو داود عن أبى مالك الأشعرى : قال عليه
الصلاة والسلام :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجَارَكُمْ مِنْ ثَلَاثٍ جَلَالٍ : أَلَّا يَدْعُو عَلَيْكُمْ
نُيُوكُمْ ، فَتَهْلِكُوا جَمِيعاً ، وَأَلَّا يُظْهِرَ أَهْلَ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ ،
وَأَلَّا تُجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ » .

ففى هذه الأحاديث يخبرنا الرسول ﷺ . وهو الصادق
المصدق : أن الله حفظ هذه الأمة من الاجتماع على ضلاله ،
وأخبر أن يد الله على الجماعة أى تكتنفها رعايته ونصرته ، وأن من
شدَّ إلى النار : أى من خرج على الجماعة وانفرد برأيه وعمل به

أفضى به ذلك إلى النار . وذلك صريح فى أن اتباع الراى الجماعى
أمن للمرء ووقاية له من شداىء الدنيا وعذاب الآخرة .

عقاب الخارجين على إجماع الأمة

الخارجون على الإجماع سوس فى جسم الأمة ينخر
عظامها ، ويمحو أمنها وسلامها ، ويقصم قوامها ، ويحطم
كيانها ، ويهدم بنيانها ، ويفعل فيها من الأفاعيل ، مالا يستطيعه
مستعمر ، ولا يقوى عليه دخيل ؛ فالمستعمرون والدخلاء خارجون
عنها ، متميزون منها ، فيمكن الاحتراز منهم . أما الخارجون على
الإجماع فهم من الأمة وفيها متغلغلون ، وفى داخلها متوغللون ،
فلا احتراز منهم أصعب تناولا ، وأبعد منالا ، وآثارهم بعيدة ،
ومضارهم شديدة ، وسهامهم سديدة ، وضربتهم وجيعة ، وأفعالهم
بلا ريب شنيعة ، وعَدُوّاهم فى الأمة سريعة . وزيادة على شناعة
أعمالهم ، هم شر قلدوة لأمثالهم .

فهم أعداء تقدم الأمة ، وسر تأخرها ، وعوامل شر فى
حياتها ، وعراقيل قوية فى مشروعاتها ، وعوائق منيعة فى سبيل
رقبها

وهذه الأفعال لاتصدر عمن عنده ذرة من الوطنية ، أو صفة
من الصفات الإسلامية ؛ لذلك يقول الرسول الأعظم ﷺ فى
الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن أبى ذر

الغفارى رضى الله عنه :

« مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَيْراً فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ » .

فمفارقة ماعليه الجماعة مفارقة لما يشد به المسلم نفسه من روابط الإسلام : وهى حدوده وأحكامه ، وأوامره ونواهيه ، لأن هذه الأمور هى التى تسيير الجماعة فى نطاقها ولن تجتمع الجماعة على خطأ ولا ضلاله كما سبقت الإشارة إليه .

ويقول الله تعالى فى سورة النساء آية (١١٥) :

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

فالذى يخالف الإجماع بعد قيام دلائل الحق الواضحة ، ويتبع طريقا غير طريق المؤمنين نتركه وماتبع ، ثم ندخله فى الآخرة جهنم وقبحت مآلا ومرجعا .

وإذا أضافوا إلى خروجهم على الجماعة ، السعى بالفساد بالقتل وتمزيق مرافق البلاد ، وقطع شرايين حياتها ، وإفساد مشروعاتها ، فلا غرابة أن يدعوا الإسلام إلى بترهم من جسم الأمة ، وقطع دابرهم من حياتها ، واستئصال شأفتهم من وجودها :

يقول الله تعالى فى الآيتين (٣٣ ، ٣٤) من سورة المائدة :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

فهؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله بمحاربتهم المسلمين ، ويفسدون في الأرض بقتل النفس التي حرم الله قتلها ، أو بتدمير مرافق الوطن ؛ كنسف القناطر ، وتدمير محط الكهرباء ، أو محط الماء ، أو قطع السكك الحديدية ، أو غير ذلك من التخريب - هؤلاء الفاسدون يعاملون بهذه الآية ، من القتل أو الصلب ، أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف ، أو النفي من الأرض على ما يراه الحاكم منها عند الإمام مالك رضي الله عنه ، ويرى الشافعي رضي الله عنه أن القتل لمن قتل فقط ، والصلب لمن قتل وأخذ المال ، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل ، والنفي لمن أخاف فقط . ومأواجه الشافعي استحسنته مالك رضي الله عنهما .

وإن جاءنا هؤلاء المجرمون تائبين قبل القبض عليهم قبلنا توبتهم وراقبناهم حتى نتحقق هذه التوبة .

هذا ماورد في القرآن الكريم عن عقوبة هؤلاء المجرمون الخارجين على الجماعة ، الشاقيين عصا الطاعة ، ويقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن عرفة رضي الله عنه :

« مَنْ أَتَاكُمْ وَ أَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ ، وَيُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَأَقْتُلُوهُ » .

وروى النسائي وابن حبان عن عرفة قوله عليه الصلاة والسلام :

« سَتَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ ، أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، كَاتِبًا مِنْ كَانَ فَأَقْتُلُوهُ ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ » .

فالنبي ﷺ يخبر أنه سيكون بعده شرور وفساد ، فمن عمل على نشر هذه الشرور بمفارقة الجماعة ، أو تفريق أمرها فهو من إخوان الشياطين يعمل عملهم ، ويسعى سعيهم ، فيجب قتله حسما للشر وعوامله .

وفى الحديث المتفق عليه مارواه ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شَيْئًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » .

الجاهلية : الحال التى كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين . والمفاخرة بالأنساب ، والكبر ، وغير ذلك ومات ميتة جاهلية : كما يموت أهل الجاهلية

بما هم عليه من الضلال والفرقة .

الإشاعات الضارة وآثارها

الأحاديث المتناثرة ، والأخبار المتطايرة ، التي لانمت إلى الحقيقة بنسب ، ولا ترتبط بالصدق بأى سبب . هذه الأخبار تفت في عضد الجماهير ، وتضعف الهمم ، وتعرقل العزائم ، وتحطم الآمال ، وتعوق سير الأعمال ، وتوقف الإصلاح .

والإشاعات الفردية : أى التي تكون ضد فرد معين حرام يعاقب الله قائلها ؛ فإن من ذكر امرأ بما ليس فيه يعيبه حبسه الله فى نار جهنم ، حتى يثبت صحة مارماه به . ولن يتسنى له ذلك . يقول الرسول ﷺ فيما أخرجه الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

« أَيَّمَا رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِكَلِمَةٍ ، وَهُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ ، يَشِينُهُ فِي الدُّنْيَا ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُدْنِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ ، حَتَّى يَأْتِيَ بِإِنْفَازٍ مَا قَالَ » .

وذلك كناية عن طول لبثه فى النار . ومن رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار ، فقد ورد فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال :

« مَنْ ذَبَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ بِالْعَبِيَّةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَقِيَهُ النَّارَ » .

ثم قرأ .

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وإن كانت الإشاعات جماعية أى ضد الجماعة تضاعف أثرها ، فيتضاعف وزرها ؛ فإنها قد تؤثر الثورات ، وتوقد نار الحروب ، وتسيل الدماء ، وتنتشر البغضاء والشحناء ، وتعصف بالأمن والطمأنينة والسلام .

لذلك كله حذرنا الله تعالى الأخبار السيئة والإشاعات الرديئة التى تجرى على ألسنة الفساق وذوى النيات السيئة الذين يعملون على إشاعة الفرقة ، وبلبلة الخواطر ، وإحداث الفوضى فى صفوف الأمة :

قال الله تعالى فى سورة الحجرات فى الآيات (٦ - ٨) :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ، فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾ .

يطلب الله تعالى إلى المؤمنين ألا يعملوا بخبر الفاسق حتى يتعرفوه ويفحصوا عنه فحسباً جيداً يجلى لهم حقيقة مدلوله من صدق أو كذب ، ولا يتسرعوا فى العمل به قبل استجلاء حقيقته ؛ لئلا يقعوا فى خطيئ جسيم يورثهم هما دائماً ، وحزنا مقيماً .

ويطلب الله إليهم أنه مادام بينهم رسول الله لا يسبقونه بقول ولا فعل ؛ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ .

أى لاتسبقوا الله ورسوله بقول ولا فعل ولاحكم ، بل كونوا دائما تابعين ، ولا تحاولوا أن تحملوا رسول الله ﷺ على أن يطيعكم فى الأمور ، أو يتبعكم فى الأحكام ، إنكم إن فعلتم ذلك عكستم الآية ، وقلبتم الحقائق ، ونكستم الأحوال ، ولو اتبعكم فى كثير من الأمور لوقعتم فى الإثم والجهد والمشقة والهلاك ، ولكن من فضل الله ونعمته وهديته أن حبب إليكم الإيمان ، وزين إليكم العمل بما يقتضيه ، وكره إليكم ضده :

وهو الكفر والفسوق والعصيان وجعلكم من الراشدين . ولنزول هذه الآيات سبب ذكره الإمام أحمد وغيره بسند جيد عن الحارث بن أبى ضرار الخزاعى ، قائد بنى المصطلق ورئيسهم قال : قدمت على رسول الله ﷺ ، فدعانى إلى الإسلام ، فأقررت به ، ودخلت فيه ، ودعانى إلى الزكاة فأقررت بها ، وقلت : يارسول الله ، أرجع إلى قومى فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة ، فمن استجاب لى جمعت زكاته ، فترسل لإبان كذا وكذا ، ليأتيك ماجمعت من الزكاة . فلما جمع الحارث الزكاة وبلغ الإبان احتبس الرسول فلم يأت ، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة ، فدعا

سروات قومه ، فقال لهم : إن رسول الله ﷺ كان قد وَقَّت وقتاً يرسل إلىّ رسوله ، ليقبض ما عندى من الزكاة ، وليس من رسول الله ﷺ الخلف ، ولا أدري حبس رسوله إلا من سخطة ، فانطلقوا فنأتى رسول الله ﷺ .

وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ، ليقبض ما كان عنده وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية ، فلما أن سار ، وقرب منهم ذكر عدواته فهابهم وخاف ، فرجع ، فقال : إن الحارث معنى الزكاة وأراد قتلى ، فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم ، وزين بعضهم ذلك للنبي ﷺ ولكن الرسول أرسل بعثاً إلى الحارث ، فأقبل الحارث بأصحابه ، إذ استقبل البعث ، فقال لهم : إلى أين بعثتم ؟ قالوا . إليك ، قال : ولم ؟ قالوا . رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة . فزعم أنك منعت الزكاة ، وأردت قتله ، قال : لا ، والذي بعث محمداً بالحق مارأيت ، ولا أتانى . فلما دخل على رسول الله ﷺ قال : منعت الزكاة ، وأردت قتل رسولى ؟ قال : لا ، والذي بعثك بالحق فنزلت :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

هذا سبب نزول هذه الآيات الكريمة . وإن كان سبب نزولها فعلة الوليد بن عقبة إلا أن المراد بها عام لكل من حدث منه

مثل ما حدث من الوليد ؛ لأن العبرة دائماً بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ، والعموم هنا مفهوم من مجيء لفظي « فاسق » « ونبأ »
منونين منكّرئين .



المنافقون والإشاعات

المنافقون : الذين يبتغون الكفر ويتظاهرون بالإسلام ، فهم أناس فسدت قلوبهم ، وامتلأت بالعقائد السقيمة ، وخوت من كل عقيدة سليمة ، ولكن مناظرهم وصورهم خلافة ، تخدع من لم يعرف خبث طواياهم .

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ خُشِبَتْ مُسَنَّدَةٌ ، يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمْ أَلَعَلُّ فَاخَرُهُمْ ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ .

وصفهم الله فى هذه الآية الكريمة من السورة المسماة باسمهم بجمال أجسامهم وضخامتها وبلاغة ألسنتهم ، مع بلادة طبعهم وفهمهم ، ووصفهم بالجبن والعداوة للمؤمنين ، ثم حللنا إياهم فلا نطلعهم على أسرارنا فيفضوها للكفار ، ويذيعوها للأعداء . أهلكهم الله كيف يصرفون عن الإيمان ، بعد قيام البرهان .

فهؤلاء المنافقون يسرهم اضطراب أمور المسلمين ، واختلال أحوالهم ، وبليلة خواطرمهم ، وفزع قلوبهم ، وقلق نفوسهم ، ودوام حزنهم وهمهم .

لذلك كانوا مصادر إذاعات ضارة ، ومعامل إشاعات سيئة

ضد الإسلام والمسلمين يقول الله تعالى فى سورة النساء
آية (٨٣) :

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وََلَوْ
رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ
مِنْهُمْ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴾ .

وهذا وصف آخر من أوصاف المنافقين : إذاعة الشائعات
الضارة بالمسلمين ؛ لما كان النبى ﷺ يرسل البعوث والسرايا
لمحاربة الكفار . كان المنافقون يتبعون أخبارهم نصرا أو هزيمة ،
ويبادرون بإذاعتها دون تحقق ولا تفرقة بين ما يصح أن يذاع وما لا
يصح ، ويصدقهم السذج وضعاف العقول والإيمان ، ويذيعونها
هم أيضا دون إدراك .

ولا ريب أن قصد المنافقين من هذه الإذاعات كان خبيثا ،
فهم يسارعون إلى إذاعة أخبار الهزيمة ؛ ليفتوا فى عضد المؤمنين ،
ويدخلوا الرعب فى قلوبهم ، واليأس فى نفوسهم ، ومهابة العدو
فى صفوفهم ، وبالإجمال ييثون فى المؤمنين عوامل الضعف
والجبن والفشل .

وقصدهم الخبيث من إذاعة النصر أن يجعلوا الشبهة عنهم
حينما يسارعون ويبالغون فى إذاعة أخبار الهزيمة ، ويصدقون فيها ،
فأخبار النصر عندهم وسيلة إلى الاطمئنان إليهم فى إشاعة الهزيمة .

وقد يكون فى إشاعة أخبار النصر ضرر بالغ بالمسلمين ؛
فإذاعة النصر وأسبابه ومسبباته قد تصل إلى جيوش الكفار ،
فيتلافون الأسباب ويتداركون المسببات ، وفى ذلك زيادة المتاعب
للمسلمين وتهيئة الفرصة للكفار يصلحون فيها شأنهم ، ويستعيدون
قوتهم ويستردكون ما فاتهم .

ولو كان هؤلاء المنافقون مؤمنين حقا . مخلصين صدقا ،
وسمعوا هذه الأخبار لأهرعوا إلى الرسول ﷺ . وإلى كبار
أصحابه ، وعرضوها عليهم ، ليتحققوا صدقها أو كذبها ، ويعلموا
ما يجوز إذاعته منها وما لا يجوز . ولكن الله جل شأنه - بفضله
ورحمته - كشف عن نيات المنافقين السيئة ، حتى لا يثق بهم
المسلمون ويحترسوا من إشاعاتهم الخبيثة ، ويقضوا عليها قبل أن
تنتشر ، ولولا فضل الله العظيم علينا بالإسلام وكتابه الكريم ما وقفنا
على سوء نياتهم ، واتبع أكثرنا إشاعاتهم التى هى من وحى
الشیطان .

وقد جعل الرسول ﷺ إذاعة الشر من الفواقى : أى
الدواهى ، كأنما تحطم فقار الظهر ، وذلك لأن ضررها فى
المجتمع بعيد الأثر ، يمزق وحدته ، ويشتت شمله ، ويوهى
تماسكه ، ويقطع أو صاله ، ويدل أمنه هلعاً وفرعاً . واستقراره قلقاً
وجزعاً .

يقول ﷺ فيما أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى

هريرة رضى الله عنه :

« تَعَوُّذُوا بِاللَّهِ مِنْ ثَلَاثٍ فَوَاقِرَ : جَارٍ سُوِّءٍ إِنْ رَأَى خَيْرًا
كَتَمَهُ ، وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَذَاعَهُ ، وَزَوْجَةٍ سُوِّءٍ إِنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا
لَسْتَنَّاكَ ، وَإِنْ غَبَتْ خَائِنَتُكَ ، وَإِمَامٍ سُوِّءٍ إِنْ أَحْسَنْتَ ، لَمْ يَقْبَلْ وَإِنْ
أَسَأْتَ لَمْ يَغْفِرْ . »

وقد وصف الإمام على كرم الله وجهه الصالحين والأولياء
بأنهم لا يذيعون الفواحش ، ولا ينشرون السوء ، قال :
« لَيْسُوا بِالْمَذَائِيعِ الْبُئْرُ »

البئور : الذى يذيع الأسرار ، ويظهر كل ما سمعه ؛ أى إن
الصالحين لا يبشرون إشاعات السوء بين الناس كما تبذر الحبوب ؛
فهم دعاة إصلاح للمجتمع ، ورسل خير للناس بالعظة البالغة ،
والقلوة الحسنة .

عقاب مذيعى الإشاعات الضارة :

يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب فى آيات (٦٠ - ٦٢)

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ،
وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لثُغْرِيْنِكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ،
مُلْعَوِينَ أَيْمَانُهُمْ قُفُوعًا أَخْلَوْا وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا ، سَنَنَّ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

ذكر الله جل شأنه فى هذه الآية ثلاث صفات للمنافقين :

أولا : صفتهم العامة التي تضمهم جميعا ، وتنطبق على كل فرقة وهم وهى صفة النفاق : إخفاء الكفر والتظاهر بالإيمان أو الاسلام .

ثانيا : وصفهم بأن فى قلوبهم مرضا : أى فجورا وفسقا وانحرافا عن العقائد السليمة ، وهذه الصفة قد تصدق على ضعاف الإيمان من المؤمنين ، ولكن سياق الآية يخصصها بالمنافقين ، فالذين فى قلوبهم مرض من المنافقين أيضا .

ثالثا : وصفهم بأنهم مُرجفون يكثرّون من إذاعة الأخبار السيئة ، ويختلفون الأقوال الكاذبة ؛ فقد كانوا يذيعون بين المؤمنين أن سرايا التي كان يرسلها الرسول ﷺ للغزو قد هُزمت و قتلت ، ليزلزلوا عقائد المسلمين ، ويوهنوا عزائمهم ويقولون : قد أتاكم العدو ، أو غير ذلك من الأراجيف الملفقة ؛ لاضطرابهم وإدخال الرعب فى قلوبهم .

لذلك كله يؤكد الله بأنهم إذا لم يكفوا عن نفاقهم وفجورهم وانحرافهم ، ويمتنعوا من إذاعة الأخبار الكاذبة ، المؤذية للمؤمنين والضارة بهم - لنسلطنك عليهم ، ونأمرك بقتالهم ، وإجلالهم عن المدينة ، فلا يقيموا معك فيها إلا وقتا قصيرا ، وجوارا قليلا . ريثما تتبين حالتهم من الانتهاء عما هم عليه او عدمه .

وأسلوب الآية الكريمة جاء على صورة الإخبار ، ولكن يراد به أمر

النبي ﷺ بذلك ، وقد فعل بهم النبي ﷺ ذلك من القتال والإجلاء .

قال الشيخ الصاوى رضى الله عنه فى حاشيته على الجلالين : لما نزلت سورة براءة جمعهم وصعد على المنبر ، فقال : « يا فلان ، قم فاخرج فإنك منافق ، ويا فلان قم » فقام بعض المسلمين وتولوا إخراجهم من المسجد .

فهم ملعونون أى مبعدون عن الرحمة
﴿ أَيْتَمَا تُقِفُوا أُخْلُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴾ .

ففى أى مكان وجدتموهم فخلوهم واقتلوهم قتلا حقيقيا :
يزهق أرواحهم ، ويبطل حسهم . وقوله تعالى :
﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

تسلية للنبي ﷺ ؛ يقول له : لاتحزن من وجود المنافقين فى قومك ؛ فهذه سنة قديمة كانت فى السابقين من الأمم ؛ كما كان فى قوم موسى ؛ منهم موسى السامرى وأتباعه ، وقارون وأتباعه ، وكانت سنة الله فيهم القتل والإجلاء ، ولن تجد لسنة الله تبديلا : أى تغييرا ونسخا ؛ لكونها بنيت على أساس محكم . وحكمة سامية دائمة ؛ فليست مثل الأحكام التى تبدل وتنسخ .

عقاب المرجفين فى القبر

ماسبق كان عقاب مذيعى الإشاعات الضارة فى الدنيا .
وهو القتل والإجلاء . وعقابهم فى الآخرة أشد وأعظم :

فعقابهم فى القبر ذكر فى حديث الرؤيا الذى اتفق عليه
البخارى ومسلم قال صلى الله عليه وسلم :

« رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيْنِي فَأَخَذَا يَدَيَّ ، فَأَخْرَجَانِي إِلَى
الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ ، يَدُهُ
كَلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فَيُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ ، فَيَشُقُّهُ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنْ
قَفَاهُ ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ فَيُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ الْآخَرِ ، وَيَلْتِمُ هَذَا الشَّقُّ ،
فَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ » .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم للرجلين اللذين معه : وهما جبريل
وميكائيل : « ماهذا ؟ » .

فقالا له :

« إِنَّهُ رَجُلٌ كَذَّابٌ ؛ يَكْذِبُ الْكَذْبَةَ ، فَتَحْمِلُ عَنْهُ فِي
الْآفَاقِ ؛ فَهُوَ يُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يُصْنَعُ اللَّهُ تَعَالَى
بِهِ مَا شَاءَ » .

هذا جزاء مذيعى الأخبار الكاذبة . وهو عقاب فى مصنع
الأحاديث الكاذبة وهو القم . ؛ بشق شدقه بحديدة معوجة الرأس
تسمى الكلوب ، وكلما انتهى من شق شدق رجع الأول كما كان

فيعاد شقه ثانية . يتكرر ذلك العذاب إلى يوم القيامة .

عقاب المرجفين في الآخرة

قال الله تعالى في سورة النساء (١٤٤ - ١٤٦) :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ؛ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

إلى غير ذلك من الايات الكثيرة .

فالمنافقون جميعا على اختلاف ألوانهم وتعدد فرقهم في الدرك الأسفل من النار أى في قعرها ، وليس لهم نصير يحول بينهم وبين العذاب ، والشئ الوحيد الذى يحول بينهم وبينه التوبة فى الدنيا من النفاق ، وإصلاح أعمالهم ، والثقة بالله ، وإخلاص دينهم لله ؛ فلا نفاق ولا رياء ولا أراجيف . فإذا تم ذلك فهم مع المؤمنين فيما يعطيه الله إياهم . وسوف يعطى الله المؤمنين أجرا عظيما فى الجنة .



الخاتمة

هذا ما ظهر لى فى موضوع الرأى العام فإن كنت أصبت
فهذا ما أردت . والله قصدت . وبالله استعنت . وإن كنت أخطأت
فأرجو من الله تعالى أن يغفر لى .

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وأصحابه وأزواجه وذريته فى كل لحظة عدد خلقه ورضاء نفسه
وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الافتاحية : أول سورة الفتح	٥
مقدمة فيها إشارة إلى شمول الإسلام ، وإلى رأى العام فيه	٧
معنى رأى العام — رأى العام فى الأمم الحرة	١٥
الرأى العام فى الأمم المستعبدة	١٦
الرأى العام والتجار	١٨
الرأى العام والموظفون	١٩
الرأى العام فى معاهد التعليم	٢٠
الرأى العام والعمال	٢١
الرأى العام والمواصلات	٢٢
الرأى العام فى الإسلام : شعب رأى العام : الشعبة الخارجية والشعبة الداخلية	٢٣
الشورى فى الإسلام . مشاورة النبى ﷺ أصحابه	٢٤
أمرء المسلمين يتقبلون رأى من أهله ويشجعونهم على إبدائه ...	٢٧
استطلاع رأى العام فى الأزمت العنيفة	٢٩
تحذير الرسول ﷺ من استغلال الجماهير ، وتحذيره من اتباع الأغلبية المزيفة	٣١

الموضوع	الصفحة
تنشئة الرأي العام فى الإسلام : أثر معاهدة الحديبية داخل الجزيرة العربية	٣٣
أثر معاهدة الحديبية خارج الجزيرة العربية	٣٦
أثر الجزيرة فى الرأي العام الإسلامى	٣٧
مراقبة الرأي العام الإسلامى للأفراد دائمة بدقة ورقة	٣٩
ثورة الرأي العام على المنكر وجهاده فى إزالته	٤١
فى الثورة على المنكر وجهاده نجاة المجتمع ، وفى تركهما هلاكه	٤٢
الرأى العام حق يجب اتباعه	٤٦
عقاب الخارجين على إجماع الأمة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة	٤٨
الإشاعات الضارة وآثارها	٥٢
المنافقون والإشاعات	٥٧
عقاب مذيعى الإشاعات الضارة فى الدنيا	٦٠
عقاب المرجفين فى القبر	٦٣
عقاب المرجفين فى الآخرة	٦٤
الخاتمة	٦٥

رقم الإيداع بدار الكتب ١٨٢٩ / ١٩٨٧



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإنعام محمد عبده المجاهد لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

نلكس : DWFA UN ٢٤٠٠٤



الرأى العام فى الإسلام
الحدو التعزير
الحدود فى الإسلام
رسالة الإسلام إلى الشباب
النية فى الشريعة الإسلامية
الإسلام بين المادية والروحية
الإسلام ونزعة الفطرة

